

من موقع الإدارة العامة للتربية والتعليم بالشرقية " بنات " تحت عنوان

(فقه الجودة في الإسلام)

تعريف الجودة:

الجودة من (أجاد) أي أحسن.. يقال (فلان تكلم فأجاد، أي تكلم فأحسن.. فلان عمل فأجاد أي عمل فأحسن) وعكسه (تكلم فأساء وعمل فأساء).

- والجودة تعني الاتقان كما تعني في مستوياتها العالية التفوق والإبداع..
- والجودة هي نتيجة الاهتمام أساساً بالكيف والنوع لا بالكم.
- والجودة في المصطلح الحديث ارتبطت – إجمالاً – بالجوانب الاقتصادية والتنظيمية (الجودة الإدارية) (الجودة التصميمية) (الجودة الصناعية) (الجودة الزراعية)..
- والجودة في هذه المجالات باتت محكومة بمواصفات ومعايير ومقاييس، ولم تعد خاضعة للمزاج والذوق الشخصي..
- وبالتالي فإن الإنتاجية الجيدة باتت تحتاج إلى شهادة جودة من شركات ومؤسسات نشأت لهذه الغاية (ملحق رقم ١).
- وقد جاء في كتاب (إدارة الجودة الشاملة) للدكتور عادل الشهاوي ما يوضح (نظام الجودة ومواصفاتها القياسية الدولية أيزو ٩٠٠٠) بالنسبة لأي إنتاج.

الإسلام والجودة:

قد لا أكون مبالغاً إذا قلت إن الإسلام – عقيدة وشريعة وأخلاقاً – وكفلسفة للكون والإنسان والحياة، هو كمال الجودة وتمامها.. ومن خلال ذلك نفهم البعد اللانهاوي في قوله تعالى: [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً] (المائدة : ٣)

وكيف لا يكون الإسلام كمال الجودة والإبداع وهو دين الله [بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (١١٧)] (البقرة).

- [بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) قَدْ جَاءَكُمْ بِصَآئِرٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَن أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَن عَمِيَٰ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (١٠٤)] (الأنعام).

إن الإبداع البشري هو أثر ومظهر من آثار ومظاهر الإبداع الرباني.. بل إنه وظيفة تكليفية ومسؤولية شرعية وليس خياراً بشرياً قبله الإنسان أو رفضه: [أَحْسِبِ الْإِنسَانَ أَن يَتْرَكَ سَيِّدِي (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّيِّ يَمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ يَقْدِرَ عَلَىٰ أَن يَحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (٤٠)] (القيامة)

الجودة والإحسان:

وإذا كانت الجودة مظهر من مظاهر الإحسان ونتيجة من نتائجه.. فإن الإسلام دعوة مطلقة إلى الإحسان: [صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨)] (البقرة).

وفي قوله تعالى: [لِيَلْبُوكُمُ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا] (هود : ٧) إشارة واضحة إلى أن الجزاء يتعلق بكيفية الأداء كائناً ما كان هذا الأداء.. وكذلك في قوله تعالى: [إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَلْبُوكُمُ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢)] (الملك).

الإنسان الذي أبدع الله خلقه مدعو إلى الإبداع:

إن من الشكر لله على إبداع خلقه يفرض على الإنسان أن يكون محسناً مبدعاً في عمله وصنعه ومهنته كائناً ما كانت.. ففي قوله تعالى: [لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)] (التين) دلالة واضحة على جودة الخلق وإحسان الخالق وإبداعه.. وكذلك في قوله تعالى: [وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَائِلَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٤)] (المؤمنون).

الإسلام يدعو إلى الجودة:

إن من البديهي أن يدعو المبدع إلى الإبداع وأن يحض المحسن إلى الإحسان.. وهذا شأن منهج الله في دعوته الإنسان إلى الجودة والإبداع والإحسان.. وصدق الله تعالى حيث يقول: [وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ] (النساء : ١٢٥).

ويقول تعالى: [وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا] (البقرة : ٨٣)

وفي الخطاب النبوي دعوة واضحة بينة إلى الجودة والإتقان والإحسان..

مثال ذلك في قوله r: "إن الله تعالى يحب من العامل إذا عمل أن يحسن" رواه البيهقي.. وكذلك في قوله r: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" للبيهقي.. ولكم أعجبتني ما أورده الأستاذ عبد الرحمن حبنكة الميداني في كتابه (العقيدة الإسلامية وأسسها) حيث أصاب كبد الحقيقة (راجع الكتاب المذكور).

شمولية المنهج وشمولية الجودة:

إن شمولية المنهج الإسلامي وتغطيته لكل جوانب الحياة توكلها دعوة إلى الجودة والإتقان على نفس الامتداد والإتساع.. وبذلك يكون الإسلام منهج الشمولية والجودة والإتقان في عموميات الحياة وفروعها وتفاصيلها..

الإسلاميون والجودة:

قد ينتظر البعض أن يكون الكلام عن المسلمين والجودة.. وقد يستغرب آخرون حصر الكلام عن الجودة بالإسلاميين.. وللجواب على ذلك أقول إن مطالبة الخاصة يجب ان تسبق مطالبة العامة.. فإن غابت الجودة في النخبة، فبديهي أن تكون معدومة في الداهم.. فبقدر الموقع يكون التكليف، وبقدر الإدعاء تكون المسؤولية.. من هنا كان الإسلاميون مطالبين بإعطاء المثل الأعلى في الإتقان والجودة، لأن في ذلك نجاحهم في الدنيا وفلاحهم في الآخرة.

ومن هنا يجب أن نعترف كإسلاميين أننا على جانب كبير من التقصير في الأخذ بأسباب الإتقان والجودة في كل جوانب عملنا.. نحن كإسلاميين طالبون بأن نحتكم إلى موازين ومقاييس ومعايير الجودة التي لفت إليها، أو أشار إليها، أو حددها، أو أوجبها، أو حض عليها، أو فرضها.. الدين القيم الذي ندعو الناس إليه؟؟!

نحن مطالبون بأن نتقن عبادتنا وأخلاقنا وأعمالنا، وأن نحسن في أقوالنا وأفعالنا وخطابنا وأدائنا، وأن نتميز في موافقتنا وسياساتنا وعلاقاتنا.. وأن نتطور في تخطيطنا وتنظيمنا وإدارتنا، وأن نتقدم في إنتاجنا وعطائنا.

إن الإتقان والتقدم والتطور المؤدي إلى الجودة يحتاج إلى التأهيل والتدريب كما يحتاج إلى العلم والخبرة. وبلوغ القمة يحتاج إلى الهمة والإرادة كما يحتاج إلى الثقة والإيمان. وصدق الشاعر حيث يقول: قد رشحوك لأمر لو فطنت له فارباً بنفسك أن ترعى مع الهمل

جوانب الجودة في المنهج الإسلامي:

- لصحة العقيدة وجودتها يشترط ما يلي:
- إفراد الله تعالى في الألوهية والعبودية والحاكمية.
- تنزيه الإيمان عن أي شرك حتى (الرياء) مصداقاً لقوله تعالى
- التعرف على الله من أسماء وصفات تليق بجلاله، مصداقاً لقوله "لله تسعة وتسعون اسماً - مائة إلا واحداً - لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر" رواه البخاري ومسلم.
- التعرف على سنن الله تعالى في الكون والإنسان والحياة
- التفكير في خلق الله وليس في ذاته، امتثالاً لقوله "ر: تفكروا في خلق الله، ولا تتفكروا في ذات الله، فإنكم لن تقدروه قدره" رواه أبو نعيم الأصباني.
- أما صفات الله تعالى فقد أشارت إليها آيات كثيرة من القرآن الكريم.. والمطلوب اعتماد رأي السلف فهو أولى بالاتباع حسماً لمادة التأويل والتعطيل، وعدم الحكم بكفر أو فسوق.. لتأويل الخلف.
- وبديهي أن تكون أركان الإيمان شهادة الجودة في صحة العقيدة، وهي: الإيمان بالله، وملانكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى.

ولصحة العبادة وجودتها يشترط ما يلي:

أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. فقد سنن رسول الله ﷺ عن (الإحسان) فقال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" متفق عليه. فللصلاة شروط لوجوبها وهي (الإسلام، والبلوغ، والعقل، والطهارة) ولها شروط لصحتها وهي: (الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر، الوضوء، سنن العورة، العلم بدخول الوقت، واستقبال القبلة). كما أن للصلاة أركاناً هي: (النية، القيام مع القدرة، تكبيرة الإحرام، قراءة الفاتحة، الركوع، الطمأنينة في الركوع، الاعتدال في الركوع، الطمأنينة في الاعتدال، السجود، الطمأنينة في السجود، الجلوس بين السجدين، الطمأنينة في الجلوس، الجلوس الأخير، التشهد، الصلاة على النبي ﷺ، واعتماد الترتيب المذكور اتباعاً لسنة رسول الله ﷺ حيث يقول: "صلوا كما رأيتموني أصلي".. ثم هنالك سنن للصلاة بعد الدخول فيها.. وكل هذا يتعلق بالجانب العملي والتنظيمي للصلاة إنما هنالك جوانب أخرى "عقلية وقلبية" لا بد من تحقيقها ضماناً للجودة، ولقبول الله تعالى لها.. من ذلك:

- حضور العقل: لقول رسول الله ﷺ: "ليس للإنسان من صلاته إلا ما عقل منها".
- حضور القلب: لقول رسول الله ﷺ: "لا ينظر الله إلى الصلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه" مسند الفردوسي. وروي عن الحسن رضي الله عنه أنه قال: "كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع" وهذا مناط قوله "ر: كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب" للنسائي.

العبرة:

هذه بعض الجوانب والصفات والشروط المطلوبة لصحة الصلاة، ولقبولها من الله جل وجلاله وكلها تؤكد على وجوب جودة الأداء وإتقان الممارسة.. إنها نفس المنهجية المعتمدة في كل جانب من جوانب الإسلام كما سنرى.. ثم إن للصلاة أهدافاً يجب تحقيقها، وتتمثل في الارتقاء بالإنسان في مدارج الكمال البشري (عفة واستقامة وأخلاقاً وشفافية) مصداقاً لقوله تعالى: ومن هنا كان قوله "ر: من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً".

في العبادات الأخرى:

وكما أن للصلاة شروطاً ومعايير ومواصفات كذلك الحال في الصيام والزكاة والحج.. ويمكن مواجهة ذلك كتب الفقه وكتب (التزكية).. ولا أرى لزوماً لتناولها في هذا المقام حرصاً على الاختصار والتوازن..

ولجودة قراءة القرآن يشترط التالي:

إدراك فضل قراءة القرآن ومقام التالين والسامعين لآياته:

وفي وصية رسول الله ﷺ لأبي ذر: "عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء" لابن حبان.

(إن هذا القرآن (مأدبة الله) فاقبلوا مأدبته ما استطعتم.. إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع.. عصبية لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ فيستعجب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقصي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، أنلوه فإن الله بأجركم على تلاوته، كل حرف عشر حسنات. أما إنني لا أقول لكم (الم) حرف، ولكن: ألف ولام وميم) رواه الحاكم

- التزام أحكام القرآن (حرامه وحلاله) وصدق الرسول ﷺ حيث يقول: "ما أمن بالقرآن من استحل محارمه" للترمذي.
- استجلاب الخشوع والحزن، لقوله ﷺ: "إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فتحازنوا" رواه أبو نعيم في الحلية.
- إحسان التلاوة وتجميل الصوت لقوله ﷺ: "حملوا القرآن بأصواتكم" وقوله: "ليس منا من لم يتغن بالقرآن" وقوله: "إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذ سمعته يقرأ، رأيت أنه يخشى الله" رواه ابن ماجه.

والحقيقة أن الإنسان ليقف مبهوراً أمام هذا الحرص الرباني والنبوي في التعامل مع كتاب الله عز وجل، للوصول إلى منتهى درجات الجودة والإتقان.. وهكذا يتكرر الموقف في كل أمر من أمور الدين والدنيا..

الجودة في التجارة من خلال الأدلة التالية:

- قوله: "التاجر الأمين الصدوق، مع النبيين والصديقين والشهداء" للترمذي.
- وقوله: "يا معشر التجار: إن التجار بيعنون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى وبر وصدق" للترمذي.
- وقوله ﷺ: "إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه ينفق ثم يمحق" لمسلم والنسائي.
- وقوله: "الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب" للبخاري.
- وقوله ﷺ: "البيعان بالخيار ما لم يفترقا. فإن صدقا وبينا، بورك لهما في بيعها، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما".
- وفي رواية أخرى للبخاري يقول ﷺ: "رحم الله رجلاً سمحاً إذا (باع) سمحاً إيا (اشترى) وإذا قضى".
- ويقول ﷺ: "إن الله يحب سمح البيع، سمح القضاء" للترمذي.